(٣٦)

"الرسالة المطوية"

فى عام مائتين وألفين قبل الميلاد، كان هناك صيادٌ بسيطٌ يصطاد بالقرب من شاطئ دولته العريقة التاريخ ، وبعد طول انتظار لسمكة واحدة تطفئ نار جوعه، التقطت شبكته زجاجة شفافة بها ورقة مطوية لم يعرها أى اهتمامٍ لأن همه لحظتها كان منصبًا على التهام الطعام وليس على القراءة. استمر ذلك الصياد فى طلب الرزق حتى زوال الشمس، وقبل لحظات من اتخاذه قراره بالانصراف، تمكن من اصطياد سمكة صغيرة، وعلى الرغم من إحباطه وعدم رضاه بهذا الرزق القليل، إلا أنه من فرط يأسه من الحصول على المزيد من الطعام لم يعد أمامه سوى العودة لمنزله لتناول السمكة الصغيرة التى اصطادها.

وفى المنزل الذى يسكنه بمفرده وأثناء قيامه بطهي السمكة الوحيدة، التفت إلى الزجاجة الشفافة وإلى الورقة التى بداخلها، فعزم من باب التسلية على فتح الزجاجة وفحص ما بها من ورقة مطوية لحين الانتهاء من عملية الطهو. فإذا به يكتشف أن تلك الورقة المطوية ليست سوى رسالة كانت تلك هى كلماتها:

"إلى كل من ساهم ويساهم فى فساد أو استبداد أو طغيان ... هنيئًا لكم بناء دولتكم، وما اتخذتموه لها من العاصمة التى تحبون. استمتعوا بجناتها وأنهارها

وكنوزها غير عابئين بالجوع والفقر والمرض والعوز الذى يستفحل على مرأى ومسمع منكم، ولكن مع كل شروق وغروب للشمس سينهض كل مظلوم ومقهور كان له حقٌ فضاع بخسًا رغمًا عنه مثلما تسرب عمره هربًا منه، وسيفتح نافذة الحرية طالبًا للعدالة، وآملاً فى انتصاره نصرًا مؤزرًا، وفى نجاته من كل قومٍ ظالمين ومن كل جماعةٍ كاذبين."

"إن كل ما سبق من كلمات قد دار بخلد رجل تقدم به العمر، وأصابه الإحباط بعدما رأى بعينيه ثورة، قام بها شباب مدينته على الظلم والطغيان، فإذا بها تضيع وكأنها لم تكن، وهذا الرجل المسن لم يجد سواى أنا لأكتب له هذه الرسالة، التى طلب منى أن تصل لمن يهمه الأمر. ولأننى فى كل مرة كنت أقرأ فيها هذه الرسالة لمن أعتقد أنها تهمهم تنفيذًا لوصية صديقى المسن، لم أكن أجد سوى عدم الاكتراث واللامبالاة؛ لذا فقد أرشدنى عقلى لإلقائها فى البحر لعلها يومًا ما تصل لمن يقرؤها فيفهمها ويعي ما فيها. وإذا كنت أنت أول من يفتح هذه الزجاجة ليقرأ الرسالة المطوية بداخلها، فاعلم أنه فى وقت كتابتها كان هناك أشخاص لا يعرفهم أحد، ولن يخلدهم التاريخ، ولكنهم كانت تدفعهم ضمائرهم لاستشعار الأخطار التى تحدق ببلادهم."

انتهى الصياد من قراءة الورقة المحفوظة فى الزجاجة، فإذا به يشم رائحة سمكته الوحيدة وقد احترقت عن آخرها فألقى بالرسالة بعيدًا عنه غير مباليًا بها، كى يسرع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من السمكة التى لا يملك غيرها، فإذا به قد تأخر عن إنقاذ سمكته مثلما تأخر غيره عن قراءة وفهم الرسالة المطوية بنحو ألفى عام وأكثر.